الفصل الثاني

رسالة إلى العالم الغربي

أولاً: افتراءات باطلة:

إنها ليست تصريحات خطابية فحسب إنما هي انتهاك حرمات، وإساءة إلى مقدسات، وإبدال للحق بالباطل في كتابات، بل إهانات، واستهزاء في رسومات، وتجريح بأقبح الكلمات، يريدون النيل من خاتم الأنبياء والرسالات، إنها حملة هجومية ضد الإسلام وأهله ونبيه، ذلك لمصادرة نصوصه ومبادئه الأخلاقية كما تستهدف هذه الحملة النيل من كتاب الله ﷻ وسنه نبيه ﷺ، والتي قام بها المتعصبون الذين أبدلوا الحق بالباطل ليرضوا أنفسهم، وكل من نهج نهجهم ورضي بالثبات على طريقهم.

بدأت تلك الحملة منذ بداية ضعف المسلمين، واشتدت ريحها بعد اعتداءات الحادي عشر من سبتمبر، والتي كانت سببًا لفتح أبواب الشر والعداء تجاه المسلمين في كل بقعة من بقاع المعمورة، إذ صرح الرئيس الأمريكي ببداية حرب صليبية، إذ إنه يعتقد أن المسلمين فاشية كما أعلن في العديد من خطاباته المتتالية، كما خطَّ قلم المعتدين وأساء إلى أصحاب النبي الأمين، ورسمت يد الرسامين الدنماركيين أسوأ وأقبح رسم لا يرضاه إلا الجاهلون، ثم نسبوا ذلك إلى سيد المرسلين سيدنا محمد ﷺ، واختتمت هذه الإساءات بكلمات بابا الفاتيكان

بنديكت السادس عشر خلال زيارته إلى ألمانيا، والتي استشهد فيها بمقطع من كتاب يحوي محادثة بين الإمبراطور البيزنطي النصراني (مانويل باليولوجوس الثاني) مع أحد المثقفين الفارسيين حول حقائق النصرانية والإسلام في القرن الرابع عشر حيث قال:

«**أرني ما الجديد الذي جاء به محمد، لن تجد إلا أشياء شريرة، وغير إنسانية مثل أمره بنشر الدين الذي كان يبشر به بحد السيف**»[1]. فيا ترى ما الذي كان يدعو البابا إلى إعادة هذه المحادثة، والاستشهاد بها فما يكون ذلك إلا اعتقادًا بما فيها، وإيمانا بما تحويه معانيها من حقد وبغضاء وكراهية قد بدت كما يقول الله ﷻ واصفًا نفسَ الكافر وما تحويه مراميها، قال ﷻ: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾ [آل عمران : ١١٨]، وصدق الله الذي يَعلم ما تكِنُّ صدورُهم وما يُعلِنون.

لقد تعدَّى الخطَّ الأحمرَ الكثيرُ من المسلمين العلمانيين، الذين يقدمون عقولهم وفكرهم على ثوابت هذا الدين، فمنهم من قال بأولية العقل وتقديمه على نصوص القرءان الكريم، ومنهم من رفض الحجاب الذي فرضه الله على نساء المسلمين، وهناك الكثير من القضايا التي افتعلت أزمة حقيقية قسَّمت المسلمين

(1) جريدة «الأهرام المصرية» السبت ١٦/ ٩/ ٢٠٠٦م.

إلى شيع وأحزاب، واختلقت الخلافات بينهم وبين الكثير من أصحاب الديانات كالنصارى، وعلى رأس هذه القائمة بنديكت بابا الفاتيكان السادس عشر.

إننا بهذا نجد أن ما صرح به البابا وخاصة إذا كان في معرض لقاء في جامعة عالمية ألمانية وأمام العديد من الحاضرين إلا إساءة إلى نبي الإسلام والمسلمين، وإثارة للضغائن، وإذكاء لموجات الكراهية بين الناس في العالم أجمعين وخاصة إذا كانت هذه الضغائن بين المسلمين والنصارى فهم أصحاب الأعداد الغفيرة من البشر الذين يعيشون على هذه المعمورة.

إن هذه الكلمات كانت مرتَّبة ومدروسة ومخطَّطًا لها، إنها لم تكن زلة لسان، فهذا الخطاب الذي ألقاه البابا كان في جامعة أكاديمية حول العقل والمنطق، يريد أن يوضح مكانة العقل والمنطق في عقيدته وشريعته النصرانية، وجاء ذلك على حساب الدين الإسلامي الحنيف.

كان من الأولى له أن يتكلم عن العقل والمنطق في النصرانية كيفما شاء دون الخروج عن إطار النصرانية إلى غيرها من العقائد؛ لأنه بهذا يدعونا نحن المسلمين إلى الرد على ما جاء من تصريح يسيء إلى الإسلام والمسلمين.

ولا يمكن أن تمر هذه الإساءة على المسلمين مرور عابرًا، فلابد من غضبة قوية إسلامية تدعو الأقلام إلى الكتابة بما يرضي خير الأنام ﷺ، وأن تشهد بالحق على رسالة الإسلام دون تعصب أو عنصرية كما حاق في نفس صاحبها صاحب البهتان.

ثانيًا- الصحوة قادمة:

غشاوة عظيمة حجبت الرؤية عن المسلمين، وفي ظلها باتوا في الماضي القريب نائمين يرون أحلام النصر في نومهم غافلين يجهلون قدر نبيهم ﷺ، فلا يدرِكون أن في اتِّباعه النصرَ المبين، فهل تستيقظ أمة الموحدين، أم تبقى في غفلة وسبات عظيم؟!

إن الماء الساكن في البحيرة لا يتحرك إلا إذا أُلقي فيه بحجر، وكلما ازداد حجم هذا الحجر ازدادت حركته، وبالمثل فتلك التصريحات وما سبقها من رسومات وإساءات كانت بمثابة الحجر الذي حرك الأمة نحو الصحوة والاستيقاظ من الغفلة، فهذه الإساءات أيقظت الأمة ورفعت هذه الستائر التي غطت وجوه أعدائها، فرفض المسلمون تلك التصريحات المسيئة للإسلام، ووقفوا مُعرِبين عنها بكل وسيلة ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، ورفضوا اعتذار البابا عن هذه التصريحات واعتبروه غير كافٍ، وطالبوه باعتذار رسمي صريح يبين فيه أخطاءه وجهله بالإسلام ونبي الإسلام محمد ﷺ.

كما تواصلت الاحتجاجات في مختلف عواصم العالم الإسلامي وغير الإسلامي تعبر عن صحوة حقيقية في قلوب المسلمين، كان يتصدرها الأطفال والنساء، بل الشيوخ قبل الرجال والشباب، بدأت بها الشعوب قبل السادة والحكام، فاستدعى عدد من الدول سفرائها من الفاتيكان كما فعل المغرب العربي وكثير من البلدان.

وقال شيخ الأزهر في بيان له: «**إن هذه التصريحات تَنُمُّ عن جهل واضح بالإسلام، وأن تصريحات الزعيم الروحي للكاثوليكية تَنْسب للإسلام ما ليس فيه، ولا تسهم على نحو بنَّاء في تعزيز الحوار بين أديان العالم وحضارته وثقافاته**»[1].

وادعوا كل عاقل أن يقرأ تلك الكلمات التي صرح بها **مهاتما غاندي** في حديث صحفي تحدث فيه عن صفات سيدنا محمد ﷺ يقول فيه: «أردت أن أعرف صفات الرجل الذي يملك بدون نزاع قلوب ملايين البشر، لقد أصبحت مقتنعًا كل الاقتناع أن السيف لم يكن الوسيلة التي من خلالها اكتسب الإسلام مكانته، بل كان ذلك من خلال بساطة الرسول ودقته وصدقه في الوعود وتفانيه وإخلاصه لأصدقائه وأتباعه وشجاعته مع ثقته المطلقة في ربه، وفي رسالته، فهذه الصفات هي التي مهدت الطريق وتخطت المصاعب وليس السيف، وبعد انتهائي من قراءة الجزء الثاني من حياة الرسول وجدت نفسي آسفًا لعدم وجود المزيد للتعرف أكثر على حياته العظيمة»[2].

كما نتذكر أيضًا كلمات **إدوارد جيبون، سيمون أوكلي**، التي سيبينان فيها أن الإسلامَ دينُ المنطق والعقل مخالِفين بذلك تصريحات بابا الفاتيكان ومن هذه الكلمات قوله: «لقد استطاع المسلمون الصمود يدًا واحدة في مواجهة فتنة

(1) محمد سيد طنطاوي - جريدة «الأهرام المصرية» السبت ١٦/ ٩/ ٢٠٠٦م.

(2) مهاتما غاندي–جريدة ينج انديا– نقلًا عن: جريدة أخبار اليوم السودانية ٢٠ صفر ١٤٢٩هـ.

الإيمان بالله، رغم أنهم لم يعرفوه إلا من خلال العقل والمشاعر الإنسانية فقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، هي ببساطة شهادة الإسلام، ولم يتأثر إحساسهم بألوهية الله ﷻ بوجود أي من الأشياء المتطورة التي كانت تُتَّخذُ آلهة من دون الله، ولم يتجاوز شرف النبي وفضائله حدود الفضيلة المعروفة لدى البشر، كما أن منهجه في الحياة جعل مظاهر امتنان الصحابة له لهدايته إياهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور منحصرة في نطاق العقل والدين»[1].

فكل هذه الكلمات التي صرح بها هؤلاء المنصِفون تبين حقيقة ما جاء به النبي ﷺ، فإنه ما جاء إلا ليظهر الحق الذي أخفاه أهل الكتاب، كما جاء ليتمم مكارم الأخلاق التي علمنا إياها ﷺ، وألا نرد على الأخطاء بأخطاء، فلا نرد على خطأ جاهل ومتعمد في نبي الإسلام ﷺ بالخطأ في نبيه مهما كانت ديانته سواء كان نصرانيًا أم يهوديًا.

إن الإسلام لا يقبل أي معتقد خاطئ في حق أي نبي من الأنبياء والرسل ويرفض هذه المعتقدات التي تسيء إلى الأنبياء عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم، فالمسلمون يؤمنون بكل رسل الله، والإسلام لا يسمح لأي أحد من المسلمين بالتجني على الأنبياء، أو محاولة تشويه الأديان، إنما يوجب عليهم الإيمان بكل رسل الله، فيقول ﷻ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ

(1) إدوارد جيبون، سيمون أوكلي، «تاريخ إمبراطورية الشرق» لندن ١٨٧٠ ص٥٤.

وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

إن اعتراض أشخاص على النبي ﷺ هو اعتراض غير مقبول؛ لأن الله ﷻ اصطفاه وأرسله رحمة للعالمين ومدحه قائلًا في القرآن الكريم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤]، كما تحدث الكاتب الإنجليزي **إلياس جون جيب** عن رسالة وعقيدة النبي ﷺ قائلا: «**عقيدة محمد خالصةٌ ليس فيها لبسٌ ولا إبهام وكل من يكتب ما يتناقى مع كرامتها فإنما هو متهم في فهمه ووجدانه**»[1]، كما يقول أدوين كالغرلي مبينًا حقيقة الإسلام في تعامله مع الآخرين: «احتفظ المسلمون للأقليات غير المسلمة في البلاد التي فتحوها بحقوقهم وامتيازاتهم الدينية، ففي القرآن الكريم آية تفيض بالصدق والحكمة يعرفها المسلمون جميعًا ويجب أن يعرفها غيرهم وهي قوله ﷻ: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ﴾ [البقرة: ٢٥٦]»[2].

فأمثال هؤلاء المنصفين يبحثون بإنصاف ودون تعصب، ولكن البابا وغيره من المتعصبين الجاهلين بما جاء به هذا الدين يبحثون بمغالطة شديدة وبكل كذب وافتراء حتى يرضوا الساسة والحكام، ممن يحملون في أنفسهم أقبح أنواع التعصب العقدي دون تفكر وتدبر، ويا لها من كلمات تحرك الفؤاد، إذ إني قرأت

(1) إلياس جون جيب- نقلًا عن «الرد على القس الأمريكي» د/ عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي، ص٤.

(2) إدوين كالغرلي، نقلًا عن «الرد على القس الأمريكي» ص٤٦.

تلك الكلمات التي صرحت بها أستاذة ألمانية تدعى **زيجرد هونكه** تقول فيها «**إن محمدًا والإسلام شمس الله على الغرب**»[1] إنها كلمات مختصرة، ولكنها تبين رأي المنصفين من غير المسلمين في النبي ﷺ.

وفي موكب الحب لسيد الخلق محمد ﷺ سار الكثيرون ممن عرفوا قدره ورأوا في العالمين أثره، ولم يقتصر الأمر على ذلك ممن آمنوا به بل تعدى إلى أناس تجردوا في حكمهم دون تعصب أو هوى فرأوا فيه نموذجًا كاملًا متكاملًا، ومن هؤلاء شاعر نصراني منصف هو **إلياس قنصل** وهو أديب وشاعر سوري عرف بنبوغه الأدبي منذ نعومة أظفاره، وموضوعيته الشديدة، وبعده عن التعصب، هذا الشاعر قرأ مقالًا يتحامل فيه صاحبُه على النبي ﷺ والقرآن الحكيم، فرجع إلى كتب التاريخ ليقرأ ويفتش ويبحث ويدقق فاندهش لما عرفه عن محمد ﷺ، فقال معبرا عن إعجابه بما اطلع عليه موضحًا بعض جوانب هذه العظمة مدافعًا عن الإسلام ورسوله واصفًا حالهُ بعد أن اطلع على سيرة النبي العطرة: «**إذ بي أمام دنيا من الأخلاق السامية والمواقف الجبارة، رسمت للعالمين صراط الحق والهدى وابتدعت العدالة الاجتماعية الصحيحة التي يبحث عنها الناس المعذبون في الأرض**»[2].

---

(1) زيجرد هونكه، نقلًا عن «مجلة التبيان» عدد ١٩ صفر ١٤٢٧ ص٣٢.

(2) إلياس قنصل- نقلًا عن «مجلة التبيان» العدد ١٩ صفر ١٤٢٧ ص٢٨.

ثم فاضت قريحة هذا الشاعر بقصيدة بلغت مئة بيت وضع فيها ردوده على مزاعم من يشوهون صورة النبي ﷺ وصورة الحضارة الإسلامية الزاهية وتناول العديد من جوانب العظمة في شخصية الرسول ﷺ، منها سماحته وحكمته في الدعوة... إلخ، ونكتفي ببعض أبيات من هذه القصيدة والتي ذكرتها مجلة «التبيان» في عددها التاسع عشر:

إني ذكرتُك يا محمدُ مُسديًا ... نِعم الخِطاب إلى ذوي السُّلطانِ

تُملِي على التيجان وحيَك ناصحًا ... بالرُّشد والإصغاءِ والإذعانِ

لم يَسمَعوا قبلَ انبعاثِك لهجةً ... إلا وفيها حطة العبدانِ

أين السلاح؟ وأين أين جيوشه ... خوض الوغى وقف على

واستكبَروا مستهزئين بدعوة ... لا تُحمَى بمهنَّد وسنانِ

ويدور دُولابُ الزمان مهيئا ... عبر الدُّهور فيلتقي الجيشانِ

جيشٌ يحارِب للمساء وآخرُ ... كثرت ذخائرُه لشيءٍ فانِ

كِسرَى يمرِّغ بالمذلة رأسَه ... وأذل منه عاملُ الرُّومانِ

والحاكمون المعجَبون بظلمهم ... في كل ناحية بلا أعوانِ

والنصرُ في كفِّ العروبةِ رايةٌ ... بالعدلِ خافقةٌ وبالعرفانِ

وسماحةُ الإسلام تغمر بالندى ... دير القسوس ومعبد الصلبانِ

إني ذكرتُك يا محمدُ والعِدى ... يتألبون تألُّب الذُّؤبانِ

ضَربَت على أبصارِهم وقُلوبهم ... ليل الفساد أصابعُ الشيطانِ

ويقضُّ تالدَ جَهلِهم وغُرورهم ... صوتٌ يفتح مغلق الآذانِ

فيلاحِقونك بالتراب وبالحصَى ... وبكل وغد حانقٍ شانِ

وتظل تَدعو لا تنِي لك همةٌ ... حتى يتمَّ النصرُ للدَّيانِ

فرأيت معجزة العزيمة والرجا ... دنيا تذِل لقوة الإيمانِ

إني ذكرتُك يا محمدُ مصغيًا ... لحديث عمٍّ ناصح حيرانِ

يُغريك بالذهب الوفير وكَم عنت ... للفلس من مُهَجٍ ومن أذهانِ

إن كنتَ تبغي أن تكونَ مسوَّدًا ... جاءت إليك سيادةُ الأقرانِ

ومحَا جوابُك والوقارُ غلافُه ... ريبًا أثارتْ عاصفَ النكرانِ

ما المالُ حين تقيسُه برسالةٍ ... عُلوية ما المجدُ ما القمرانِ؟

مِثلك من الخلقِ الجليل تركته ... دَرسًا لكلِّ مُناضِلٍ مُتَفانِ[1]

فالجميع يرى الآن مظاهر الصحوة الراشدة والنهضة الواعدة وأنها صارت في وضع لا يطمع أحد من هؤلاء في أن يخمدها بعد أن استيقظت وكما قال الدكتور محمد المختار المهدي -الرئيس العام للجمعيات الشرعية- في مقال له بمجلة التبيان: «إن هذا الغرب لا يختلف عما كان عليه الشرق الشيوعي في الهدف والغاية التي حدثنا عنها ربنا كثيرًا في مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ﴾ [البقرة: ٢١٧].

(1) المرجع السابق.

وقوله سبحانه: ﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَآءً ﴾ [النساء: ٨٩]، إن الله قد ينصر هذا الدين بالرجل الفاجر، ورُبَّ ضارة نافعة، ولنا في إسلام حمزة ﷺ وعمر بن الخطاب ﷺ عبرة وعظة، فقد كان إسلام حمزة ﷺ نتيجة لإهانة أبي جهل لرسول الله ﷺ، وكان إسلام عمر ﷺ نتيجة لدخول أخته في هذا الدين، فلينظر هؤلاء الذين يريدون أن يغيروا جلودهم إلى إخوانهم وأهلهم الذين استمسكوا بدينهم وكرامتهم فلعلهم يفعلون ما فعله حمزة وعمر ﷺ»[1].

(1) د/ محمد المختار محمد المهدي، في مقال له بعنوان: الصحوة الراشدة والنهضة الواعدة، «مجلة التبيان» العدد١٩ ص٥.

خاتمة

بعد أن نقلنا ما كان من أمر أصحاب الادعاءات الباطلة في حق النبي الكريم محمد ﷺ، نرجو أن نكون قد وفقنا في الرد على ما كان من افتراء، فالإسلام دين لا إكراه فيه، انتشر بفضل الله ووعده لنبيه، ثم بفضل عدالة من قاموا على قيادة جيوشه، وعلى رأسهم أصحاب النبي ﷺ ورضي الله عنهم جميعًا، ثم إنه دين الفطرة السليمة التي يستجيب إليها العقل والمنطق، وندعو الله ﷻ أن تصل الصورة الصحيحة لذوي الألباب أصحاب البصيرة، ولك في نهاية هذا الباب أخي القارئ أن تحكم على هذا الدين الذي يعتنقه أكثر من مليار ونصف المليار مسلم على أرض هذه المعمورة دون تسجيل حالة إكراه أو إجبار واحدة على مر الحضارة الإسلامية.